

قَالَ الرَّبُّ: قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أَجِيبُ

(Arabic – The Lord said: Before they call I will answer)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: قَالَ الرَّبُّ: قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أَجِيبُ

ومن سفر إشعياء الأصحاح الخامس والستين نقرأ العدد الرابع والعشرين:

"ويكون أتي قبلما يدعون. أنا أجيب. وفيما هم يتكلمون بعد. أنا أسمع".^١

نخطئُ أحياناً إذ نقرأ كلمة الله قراءةً سطحية. نمارسها دون مبالاةٍ بجوهر المعنى. وليتنا نتجنب تلك العادة السيئة لأنها تحرمنا من فوائدٍ روحيةٍ كثيرة. لأنه من كثرة القراءة غير المتعمقة يُخيل لنا أن ما قرأناه بديهي. ولكن في الواقع إن دققنا النظر فيه وأمعنا الفكر لوجدنا له عمقا ومغزى أكثر بكثير مما نظن أو نراه أو نفهمه لأول وهلة إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول: "لأن من يتناول اللبن. هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مَدْرَبَةً". لذا يلزمنا التأمل العميق في كلمة الله حتى تكون قراءتنا للكلمة وصلواتنا مطابقة لمشيئة الله. فبانجيل لوقا الأصحاح الثامن عشر يقول الرب يسوع: "يَبْغِي أَنْ يُصَلِيَ كُلَّ حِينٍ وَلَا يَمَلُّ". وبانجيل متى يُشير الرب إلى نوع الصلاة المُستجابة بقوله: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ. يَا رَبُّ. يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ".^٢

ولقد جاء بانجيل مرقس قول الرب يسوع: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم أت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة". فمن البديهي أن المرضى يَشُدُّونَ الطبيب لا الأصحاء. ومن البديهي كذلك أن من كان باراً لا يُعاني من خطية. وليس مطالباً أن يعترف وهو لم يرتكب خطية. إذا ما المغزى من قول الرب يسوع: لأني لم أت لأدعو أبراراً؟ هل هناك جانب آخر للمعنى غير مباشر؟ نعم يوجد. فمن ذا الذي يخلو قلبه من ذوافع الخطية الثلاثة وهم: إبليس والعالم والجسد؟. من ذا الذي لا يحتاج إلى القلب الجديد؟. أوليس "القلب أخذع من كل شيء وهو نجس"؟. من ذا الذي لا يحتاج إلى تطهير من خطايه ليبدأ حياة جديدة بقلب جديد؟. مكتوب: الجميع زاعوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحداً. أين الأصحاء وأين الأبرار؟. إنهم مخدوعون يعتبرون أنفسهم أصحاء لا يحتاجون إلى طبيب وأبراراً لا يحتاجون إلى تبرير وهم غرقى إلى آذانهم في الخطية.^٣

لا يستطيع إنسان أن يقف أمام كرسي الديان العادل مدعياً البر الكامل أمام الله كلي القداسة. إن الانتكال على أعمال برنا ذاتي. هو محض غرور وكبرياء ونفاق وجهل. إن الرب يهتم بما نخبئه في أعماق قلوبنا أكثر مما نقوله أو نتحدث به. إن الرب يعرف داخلنا إن كنا صادقين مخلصين له. أو مخادعين مرائين. إن الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء يستهله الوحي الإلهي بالقول: "أصغيت إلى الذين لم يسألوا". إن الرب يصغي إلى قلوبنا حتى إذا لم تعبر أسنتنا بالسؤال. ثم يقول: "وجدت من الذين لم يطلبوني". لأن الرب يعرف حاجة الإنسان ويسارع بتحقيقها له حتى لو لم يفكر الإنسان في احتياجه الضرورى. مكتوب: يقول الرب: "ويكون أتي قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع". ولنعلم أن العبادة الحقيقية تكون بالروح والحق.^٤

لقد أوضح الرب يسوع للسامرة المذكورة بانجيل يوحنا الأصحاح الرابع. معنى السجود الحقيقي قائلاً: "ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون لآب بالروح والحق. الله روح. والذين يسجدون

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر إشعياء ٢٢ : ٣١ - ٣٢ ،

^٢ الرسالة إلى العبرانيين ٥ : ١٣ - ١٤ ، إنجيل لوقا ١٨ : ١ ، إنجيل متى ٧ : ٢١ - ٢٣

^٣ إنجيل مرقس ٢ : ١٧ ، سفر إرميا ١٧ : ٩ - ١٠ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣ : ١٢

^٤ سفر إشعياء ٦٥ : ١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٥ : ٨

له فيالروح والحق يَبْغَى أَنْ يَسْجُدُوا". وقال داوُدُ النَّبِيُّ فِي مَزْمُورِهِ الْحَادِي وَالْخَمْسِينَ: "لَأَنَّكَ لَا تَسْرُ بِذُبْحَانَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أَقْدَمَهَا.. بِمُحْرِقَةٍ لَا تَرْضَى.. ذَبَائِحُ اللَّهِ هِيَ رُوحٌ مُكْسِرَةٌ.. الْقَلْبُ الْمُكْسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللَّهُ لَا تَحْتَقِرْهُ".^١

عزيرى القارئ: إن كنت قد مللت حياة البعد عن الله. والانعماس في ملذات العالم الشرير. واشتاق قلبك إلى الحياة الأفضل. وقررت تسليم حياتك الغالية للرب الذي أحبك. وتشعر أنك في حاجة إلى غفران خطاياك وتلبية دعوة الله لك للدخول إلى ملكوته. تأمل معي قول إشعياء النبي في الأصحاح الخامس والخمسين من سفره: "اطلبوا الرب ما دام يوجد أدعوه وهو قريب. لئترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران. لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم".^٢ وبالتأمل في تلك الأقوال نلاحظ أمرين هاميين:

أولاً: سيرُ حرمان الإنسان من رحمة الله وغفرانه.. هو إصراره على السير في طريقه والتمسك بأفكاره. فإن ترك الإنسان طريقه طالبا طريق الله. وإن ترك أفكاره لينتقل فكر الله وخطة الموضوع لحياته. نال الإنسان الخاطئ رحمة الله وغفرانه. فليترك أذى تستأنف سيرك في طريق الله. وتفتح قلبك لينتقل فكر الله لتستقيم حياتك وتحصل على سلام الله الذى يفوق كل عقل. إن الحكيم يقول في أمثاله الأصحاح الرابع عشر: "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت". وبالأصحاح الثانى عشر من أمثاله يقول: "طريق الجاهل مستقيم فى عينيه". إن الرب مستعد أن يعرفنا طريقه إن كان ذلك مشتته قلوبنا. فداوُدُ النَّبِيُّ فِي مَزْمُورِهِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ يَقُولُ: "الرب صالحٌ ومستقيمٌ لذلك يعلم الخطاة الطريق. يدرّب الودعاء فى الحق ويعلم الودعاء طرقه".^٣

إن أيوب فى سفره الأصحاح الحادى والعشرين يسجل أقوال الأشرار وفكرهم الشرير تجاه الله إذ أنهم: "يقولون لله ابعد عنا. وبمعرفة طريقك لا نسر. من هو القدير حتى نعبد؟ وماذا ننتفع إن التمسناه؟". ربما لا نسمع الأشرار يقولون ذلك. ولكن سلوكهم الشرير وجرهم وراء العالم بمغرياتهم وإصغاءهم لصوت إبليس وهو يدعهم للتمرد على الإله الحي. وإنفاق أموالهم وأوقاتهم ومجهوداتهم فيما يغضب خالقهم. هذا كله يعنى أنهم بمعرفة طرق الله لا يسرون. وهم ليمسكهم بطرقهم لا ينتفعون شيئا ولن ينتفعوا شيئا إن التمسوه. ليتنا نقول مع داوُدُ النَّبِيُّ: "إليك يا رب أرفع نفسى. يا إلهى عليك توكلت. طريقك يا رب عرفنى". ولقد جاء بالمزمور الثانى والثلاثين وعد الرب لمن يأتى إليه من كل قلبه مخلصا بقوله: "أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها. أضحك. عينى عليك".^٤

ثانيا: هناك استجابة لكل من يطلب الله ويدعوه.. إن الرب قريب. كما جاء بسفر إشعياء النبي إذ يقول: "اطلبوا الرب ما دام يوجد أدعوه وهو قريب". إنه يرحب مستجيبا لأشواق قلب من يطلبه صادقا بأكثر مما يطلب أو يفكر. إنه وعد مشجع لكل النفوس المشتاقة لخلاصه العجيب "ويكون أئى قبلما يدعون. أنا أجيب. وفيما هم يتكلمون بعد. أنا أسمع". إن الرب يستقبل مرحبا بمن يطلبه من كل القلب. ولكنه يحذر ويؤذ من تغريه نفسه ليفقد معاندا غير مكرث بشاعة خطاياها وأثامه. إن بولس الرسول برسالتيه إلى مؤمنى رومية الأصحاح الثانى يسجل إنذارا صارما لكل من يتهاون ويتجاهل خطورة العواقب وبشاعة المصير لمن يقسى قلبه قائلا: "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله".^٥

أدعوك أختي لتشارك معي فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. يا رب استمع إلى صوت تضرعى. اختبرنى واعرف قلبى. امتحنى واعرف أفكارى. وانظر إن كان فى طريق باطل. واهدنى طريقا أبديا. أرفع صلاتى فى اسم يسوع البار. وإتقا من استجابتك. مستندا على وعدك. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجا.

أختي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٤: ٢٣ - ٢٤ ، سفر المزمير ٥١: ١٦ - ١٧
^٢ سفر إشعياء ٥٥: ٦ - ٩
^٣ سفر الأمثال ١٤: ١٢ & ١٥: ١٢ ، سفر المزمير ٢٥: ٨ - ٩
^٤ سفر أيوب ٢١: ١٤ - ١٥ ، سفر المزمير ٢٥: ١ & ٢ & ٤ - ٤ & ٣٢: ٨
^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٢: ٤ - ٦